

تفسير البحر المحيط

@ 490 @ لما حكى اﷻ تعالى عن الكفار عظيم ما ارتكبوه من الكفر ونسبة التولد له ،
بيِّنَ تعالى أنه يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة إظهاراً لفضله ورحمته . ويؤاخذ : مضارع
أخذ ، والظاهر أنه بمعنى المجرد الذي هو أخذه . وقال ابن عطية : كان أحد المؤاخذين
يأخذ من الآخر ، إما بمعصية كما هي في حق اﷻ تعالى ، أو بإذاية في جهة المخلوقين ،
فيأخذ الآخر من الأول بالمعاقبة والجزاء انتهى . والظاهر : عموم الناس . وقيل : أهل مكة
، والباء في بظلمهم للسبب . وظلمهم كفرهم ومعاصيهم . والضمير في عليها عائد على غير
مذكور ، ودل على أنه الأرض قوله : من دابة ، لأن الدبيب من الناس لا يكون إلا في الأرض ،
فهو كقوله : { فَأَنزَلْنَاهُ بِرَمِّ نَقْعَةٍ } أي بالمكان لأن { وَالْعَادِيَاتِ } معلوم
أنها لا تعدو إلا في مكان ، وكذلك الإثارة والنفع . والظاهر عموم من دابة فيهلك الصالح
بالتالح ، فكان يهلك جميع ما يدب على الأرض حتى الجعلان في جحرها قاله : ابن مسعود . قال
قتادة : وقد فعل تعالى في زمن نوح عليه السلام . وقال السدي ومقاتل : إذا قحط المطر لم
تبق دابة إلا هلك . وسمع أبو هريرة رجلاً يقول : إن الظالم لا يضر إلا نفسه ، فقال : بلى
واﷻ حتى أن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم . وهذا نظير : { وَاتَّقُوا فِتْنَةً }
{ الآية والحديث (أنهلك وفينا الصالحون) وقال ابن السائب ، واختاره الزجاج : من دابة
من الإنس والجن . وقال ابن جريج : من الناس خاصة . وقالت فرقة منهم ابن عباس : من دابة
من مشرك يدب عليها ، ولكن يؤخرهم إلى أجل الآية ، تقدّم تفسير ما يشبهه في الأعراف . وما
في ما يكرهون لمن يعقل ، أريد بها النوع كقوله : { فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ }
ومعنى : ويجعلون ، يصفونه بذلك ويحكمون به . وقال الزمخشري : ما يكرهون لأنفسهم من
البنات ، ومن شركاء في رئاستهم ، ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ، ويجعلون له
أرذل أموالهم ، ولأصنامهم أكرمها ، وتصف ألسنتهم مع ذلك أن لهم الحسنى عند اﷻ كقوله :
{ وَلَئِنَّ رَجْعَتِي إِلَىٰ رَبِّي إِنْ لَّمْ يَحْضُرْ } انتهى .
وقال مجاهد : الحسنى قول قريش لنا البنون ، يعني قالوا : البنات ولنا البنون . وقيل
: الحسنى الجنة ، ويؤيده : لا جرم أن لهم النار ، والمعنى على هذا : يجعلون المكره ،
ويدعون مع ذلك أنهم يدخلون الجنة كما تقول : أنت تعصي اﷻ وتقول مع ذلك : أنك تنجو ، أي
هذا بعيد مع هذا . وهذا القول لا يتأتى إلا ممن يقول بالبعث ، وكان فيهم من يقول به . أو
على تقدير أن كان ما يقول من البعث صحيحاً ، وأن لهم الحسنى بدل من الكذب ، أو على
إسقاط الحرف أي : بأن لهم . وقرأ الحسن ومجاهد باختلاف ألسنتهم : بإسكان التاء ، وهي

لغة تميم جمع لساناً المذكر نحو : حمار وأحمره ، وفي التأنيث : ألسن كذراع وأذرع .
وقرأ معاذ بن جبل وبعض أهل الشام : الكذب يضم الكاف والذال والباء صفة للألسن ، جمع
كذوب كصبور وصبر ، وهو مقيس ، أو جمع كاذب كشارف وشرف ولا ينقا ، وعلى هذه القراءة أن
لهم مفعول تصف ، وتقدم الكلام في لا جرم أن . .

وقرأ الحسن وعيسى بن عمران : لهم بكسر الهمزة ، وأن جواب قسم أغنت عنه لا جرم . وقرأ
ابن عباس ، وابن مسعود وأبو رجاء ، وشيبة ، ونافع ، وأكثر أهل المدينة : مفرطون بكسر
الراء من أفرط حقيقة أي : متجاوزون الحد في معاصي الله . وباقي السبعة ، والحسن ، والأعرج
، وأصحاب ابن عباس ، ونافع في رواية ، بفتح الراء من أفرطته إلى كذا قدمته ، معدى
بالهمزة من فرط إلى كذا تقدم إليه . قال القطامي :